

رسائل ابن عربي

الشيّخ الأكبر محيي الدّين محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد
ابن عربي الحاتمي الطّائي
المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

وضع حواشيه
محمد عبد الكريم النمري

كتاب الفناء في المشاهدة
كتاب الألف، وهو كتاب الأحدية
كتاب أيام الشأن
كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام
رسالة القسم الإلهي
كتاب الأزل
كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى
رسالة لا يعول عليه
كتاب التراجم
رسالة الانتصار
كتاب المسائل
كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار
كتاب حلية الأبدال
كتاب الوصية



منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

كتاب حلية الأبدال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ أنعمت فزد

الحمد لله على ما ألهم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا عظيماً، وصلى الله على السيد الأكرم، المعطي جوامع الكلم في الموقف الأعظم، وسلم تسليماً.

أما بعد فإني استخرت الله تعالى ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمنزل المية بالطائف في زيارتنا عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ وكان سبب استخارتي سؤال صاحبي أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحراني رحمه الله وأبي عبد الله محمد بن خالد الصدفي التلمساني وفقهما الله أن أقيد لهما في هذه الأيام أيام الزيارة ما ينتفعون به في طريق الآخرة فاستخرت الله في ذلك وقيدت لهما هذه الكراسة التي سميتها حلية الأبدال.

وما يظهر عنها من المعارف والأحوال تكون لهما ولغيرهما عوناً على طريق السعادة، وباباً جامعاً لفنون الإرادة، ومن موجد الكون، نسأل التأييد والعون.

فصل

الحكم نتيجة الحكمة والعلم نتيجة المعرفة فمن لا حكمة له لا حكم له، ومن لا معرفة له لا علم له، فالحاكم العالم لله قائم، والحكيم العارف بالله واقف، فالحاكمون العالمون لاميون، والحكماء العارفون بائيون.

فصل

لما سعف الزاهد بترك دنياه والمتوكل يكله أمره إلى مولاه والمريد بالسماع والوجد، والعابد بالعبادة والجهد، والحكيم العارف بالهمة والقصد، وغاب العالمون الحاكمون في الغيب فلم يعرفهم عالم ولا مريد ولا عابد ولا شهدهم متوكل ولا زاهد، فترك الزاهد للعوض وتوكل المتوكل لنيل الغرض، وتواجد المريد لتنفيس الكرب، واجتهاد العابد رغبة في القرب، وقصد العارف الحكيم بهمته الوصول، وإنما يتجلى الحق لمن انمحى رسمه، وزال عنه اسمه فالمعرفة حجاب على المعرفة والحكمة باب

عنده يكون الوقوف، وما بقي من الأوصاف فأسباب كالحرف، وهذه كلها علل تعمي الأبصار، وتطمس الأنوار، فلولا وجود الكون لظهر العين، ولولا الأسماء لبرز المسمى، ولولا المحبة لاستمر الوصال، ولولا الحظوظ به لملكت المراتب، ولولا الهوية لظهرت الأنية، ولولا هو لكان أنا، ولولا أنت لبدأ رسم الجهل قائماً ولولا الفهم لقوي سلطان العلم فإذا تلاشت هذه الظلم وطارت بمرهفات ألفنا هذه التهم.

شعر

تجلى لقلبك من لم يزل ... به قاطنا في غيوب الأزل
وما حجب العين عن دركها ... سواك ولكن بضرب المثل
تبين للقلب أن الذي ... رآه به دائماً لم يزل
وجاء الخطاب بعلم الكلام ... ويبدي سناه رسوم المحل

فصل

كان لنا بمرشانة الزيتون ببلاد الأندلس صاحب من الصالحين يعلم القرآن وكان فقيهاً مجيداً حافظاً ذا ورع وفضل وخدمة للفقراء اسمه عبد المجيد بن سلمة أخبرني وفقه الله قال: بينما أنا ليلة في مصلاي قد أكملت حزبي وجعلت رأسي بين ركبتي أذكر الله تعالى إذ تحسست لشخص قد نقض مصلاي من تحتي وبسط عوضاً منه حصيراً حصيفاً(١) وقال صل عليه وباب بيتي عليَّ مغلق فداخلني منه جزع فقال لي: من يأنس بالله لم يفزع ثم قال لي: اتق الله في كل حال ثم إني ألهمت فقلت له: يا سيدي بماذا يصير الأبدال أبدالاً؟ فقال لي بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في «القوت»، الصمت والعزلة، والجوع والسهر، ثم انصرف عني ولا أعرف كيف دخل ولا كيف خرج غير أن بابي على حاله مغلق والحصير الذي أعطانيه تحتي وهذا الرجل هو من الأبدال واسمه معاذ بن أشرس رضي الله عنه فهذه الأربعة التي ذكرها هي عماد هذا الطريق الأسنى وقوائمه ومن لا قدم له فيها ولا رسوخ فهو تائه عن طريق الله تعالى وغرضنا في هذه الكراسة الكلام في هذه الفصول الأربعة وما تعطيه من المعارف والأحوال، جعلنا الله وإياكم ممن تحقق بها وداوم عليها إنه على ذلك قدير.

فصل

في الصمت(٢): الصمت على قسمين، صمت باللسان عن الحديث بغير الله تعالى

---

(١) استحصف الحبل: اشتد فتله.
(٢) انظر حديث القشيري عن الصمت في رسالته ص ١١٩ ـ ١٢٤.

مع غير الله تعالى جملة واحدة، وصمت بالقلب عن خاطر يخطر له في النفس في كون من الأكوان البتة فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خف وزره، ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلى له ربه، ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة، ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه كان مملكة للشيطان ومسخرة له، فصمت اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك، وصمت القلب من صفات المقربين أهل المشاهدات، وحال صمت السالكين السلامة من الآفات، وحال صمت المقربين مخاطبات التأنيس.

فمن التزم الصمت في جميع الأحوال كلها لم يبق له حديث إلا مع ربه فإن الصمت على الإنسان محال في نفسه فإذا انتقل من الحديث مع الأغيار إلى الحديث مع ربه كان نجياً مقرباً مؤيداً في نطقه إذا نطق نطق بالصواب لأنه ينطق عن الله قال تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣] فالنطق بالصواب نتيجة الصمت عن الخطأ والكلام مع غير الله خطأ بكل حال وبغير الله شر من كل وجه قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] ولكمال شروطها قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ولحال الصمت مقام الوحي على ضروبه والصمت يورث معرفة الله تعالى.

فصل

في العزلة(١): العزلة سبب لصمت اللسان فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى الصمت باللسان، والعزلة على قسمين عزلة المريدين وهي بالأجسام عن مخالطة الأغيار، وعزلة المحققين وهي بالقلوب عن الأكوان فليست قلوبهم مجالاً لشيء سوى العلم بالله تعالى الذي هو شاهد الحق فيها، الحاصل من المشاهدة وللمعتزلين نيات ثلاث، نية اتقاء شر الناس، ونية اتقاء شره المتعدي إلى الغير وهو أرفع من الأول فإن في الأول سوء الظن بالناس، وفي الثاني سوء الظن بنفسه وسوء الظن بنفسك أولى لأنك بنفسك أعرف، ونية إيثار صحبة من جانب الملأ الأعلى فأعلى الناس من اعتزل عن نفسه إيثار الصحبة ربه فمن آثر العزلة على المخالطة فقد آثر ربه على غيره، ومن آثر ربه لم يعرف أحد ما يعطيه الله تعالى من المواهب والأسرار، فإنه لا تقع العزلة أبداً في القلب إلا من وحشة تطرأ على القلب من المعتزل عنه وآنس بالمعتزل إليه وهو الذي يسوقه إلى العزلة فكانت العزلة تغني عن شرط الصمت فإن الصمت لازم لها فهذا صمت اللسان.

وأما صمت القلب فلا تعطيه العزلة، فقد يتحدث الواحد في نفسه بغير الله تعالى

(١) انظر حديث القشيري عن العزلة في رسالته ص ١٠١ ـ ١٠٤.

مع غير الله فلهذا جعلنا الصمت ركناً من الأركان في الطريق قائماً بنفسه فمن لازم العزلة وقف على أسرار الوحدانية الإلهية هذا ينتج له من المعارف ومن الأسرار أسرار الأحدية التي هي الصفة وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف البشرية سالكاً كان المعتزل أو محققاً وأرفع أحوال العزلة الخلوة فإن الخلوة عزلة في العزلة فنتيجتها أقوى من نتيجة العزلة العامة فينبغي للمعتزل أن يكون صاحب يقين مع الله تعالى حتى لا يكون له خاطر متعلق خارجاً عن بيت عزلته فإن حرم اليقين فليستعد لعزلته قوته زمان عزلته حتى يتقوى يقينه بما يتجلى له في عزلته لا بد من ذلك هذا شرط محكم من شروط العزلة والعزلة تورث معرفة الدنيا.

فصل في الجوع(١)

الجوع هو الركن الثالث من أركان هذا الطريق الإلٰهي وهو يتضمن الركن الرابع الذي هو السهر كالعزلة تتضمن الصمت، والجوع جوعان، جوع اختيار وهو جوع السالكين، وجوع اضطرار وهو جوع المحققين، فإن المحقق لا يجوع نفسه ولكن قد يقلل أكله إن كان في مقام الأنس، فإن كان في مقام الهيبة كثر أكله فكثرة الأكل للمحققين دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلوبهم بحال العظمة من مشهودهم وقلة الأكل دليل على صحة المحادثة بحال المؤانسة من مشهودهم وكثرة الأكل للسالكين دليل على بعدهم من الله وطردهم عن بابه واستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم وقلة الأكل لهم دليل على نفحات الجود الإلٰهي على قلوبهم فيشغلهم ذلك عن تدبير جسومهم والجوع بكل حال ووجه سبب داع للسالك والمحقق إلى نيل عظيم الأحوال للسالكين والأسرار للمحققين ما لم يفرط تضجر في الجائع فإنه إذا أفرط أدى إلى الهوس وذهاب العقل وفساد المزاج فلا سبيل للسالك أن يجوع الجوع المطلوب لنيل الأحوال إلا عن أمر شيخ وأما وحده فلا سبيل لكن يتعين على السالك إذا كان وحده التقليل من الطعام واستدامة الصيام ولزوم أكلة واحدة بين الليل والنهار وأن يغب الإدام الدسم فلا يأتدم في الجمعة سوى مرتين إن أراد أن ينتفع به حتى يجد شيخاً فإذا وجده سلم أمره إليه وشيخه يدبر حاله وأمره إذ الشيخ أعرف بمصالحه منه وللجوع حال ومقام فحالة الخشوع والمسكنة والذلة والافتقار وعدم الفضول وسكون الجوارح وعدم الخواطر الردية هذا حال الجوع للسالكين، وأما حاله في المحققين فالرقة والصفا والمؤانسة وذهاب الكون والتنزه عن الأوصاف البشرية بالعزة الإلٰهية والسلطان الرباني ومقامه المقام الصمداني وهو مقام عال له أسرار وتجليات وأحوال ذكرناها في كتاب مواقع النجوم في عضو القلب ولكن في بعض النسخ فإني

(١) انظر حديث القشيري عن الجوع في رسالته ص ١٤٠ ـ ١٤٤.

استدركته فيه بمدينة الجابية[١] سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان قد خرجت منه نسخ كثيرة في البلاد لم يثبت فيها هذا المنزل فهذا فائدة الجوع لصاحب الهمة لا جوع العامة فإن جوع العامة جوع صلاح المزاج وتنعيم البدن بالصحة لا غير والجوع يورث معرفة الشيطان عصمنا الله وإياكم منه.

فصل في السهر

السهر نتيجة الجوع فإن المعدة إذا لم يكن فيها طعام ذهب النوم، والسهر سهران سهر العين وسهر القلب فسهر القلب انتباهه من نومات الغفلات طلباً للمشاهدات وسهر العين رغبة في بقاء الهمة في القلب لطلب المسامرة فإن العين إذا نامت بطل عمل القلب فإن كان القلب غير نائم مع نوم العين فغايته مشاهدة سهره لمتقدم لا غير وإما أن يلحظ غير ذلك فلا، ففائدة السهر استمرار عمل القلب وارتقاء المنازل العلية المخزونة عند الله تعالى وحال السهر تعمير الوقت خاصة للسالك والمحقق غير أن المحقق في حالة زيادة التخلق الرباني لا يعرفه السالك وأما مقامه فمقام القيومية وربما بعض أصحابنا منع أن يتحقق أحد بالقيومية وبعضهم منع من التخلق بها، لقيت إذاً أبا عبد الله بن جنيد فوجدته يمنع من ذلك وأما نحن فلا نقول بذلك فقد أعطتنا الحقائق أن الإنسان الكامل لا يبقى له في الحضرة الإلهية اسم إلا وهو حامل له ومن توقف من أصحابنا في مثل هذه المسألة فلعدم معرفته بما هو الإنسان عليه في حقيقته ونشأته فلو عرف نفسه ما عسر عليه مثل هذا والسهر يورث معرفة النفس. تمت أركان المعرفة إذ المعرفة تدور على تحصيل هذه الأربعة. المعارف معرفة الله والنفس والدنيا والشيطان فإذا اعتزل الإنسان عن الخلق وعن نفسه وصمت عن ذكره بذكر ربه إياه وأعرض عن الغذاء الجسماني وسهر عند موافقة نوم النائمين واجتمعت فيه هذه الخصال الأربعة بدلت بشريته ملكاً وعبوديته سيادة وعقله حساً وغيبه شهادة وباطنه ظاهراً وإذا ترحل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية يجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي فإن ظهر شوق من أناسي ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمها وكلمته وهو يتخيل أنه مطلوبه وهو غائب عنه حتى يقضي حاجته منه وقد تتجسد هذه الروحانية إن كان من صاحبها شوق أو تعلق همة بذلك الموطن وقد يكون هذا من غير البدل والفرق بينهما أن البدل يرحل ويعلم أنه ترك بدل له وغير البدل لا يعرف ذلك وإن تركه لأنه لم يحكم هذه الأربعة الأركان التي ذكرناها وفي ذلك قلت:

---

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي جوران، إذا وقف الإنسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له وتظهر من نوى أيضاً. (معجم البلدان ٢/ ٩١).

يا من أراد منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن بها فلست من أهلها إن لم تزاحمهم على الأحوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من يدنيك من غير الحبيب الوالي
فإذا سهرت وجعت نلت مقامهم وصحبتهم في الحال والترحال
بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العالي

والله يوفقنا وإياكم لاستعمال هذه الأركان، وينزلنا وإياكم منازل الإحسان، إنه هو الولي المنان والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

يتلوه كتاب نقش الفصوص لسيدي الشيخ الإمام العالم محيي الدين بن عربي نفع الله به آمين.